

القياس النفسي بين السلوكية والظاهرية

Psychological measurement between behavioral and phenomenological

بشير معمريّة *

جامعة باتنة 01 الحاج لخضر، bashirmaamria2015@gmail.com

تاريخ القبول: 2023 / 11 / 28

تاريخ الإرسال: 2023 / 11 / 22

ملخص:

استفسرت هذه المقالة عن النظرية التي تقف وراء ممارسة القياس النفسي، وبعد أن تمت مناقشة الفروق بين ممارسات القياس النفسي بين السلوكيين والقياسيين، تبين أن السلوكية ليست هي النظرية التي نبت القياس النفسي في جذورها الفكرية، ولا في مخايرها التجريبية، ذلك أن السلوكيين بيئين، والقياسيين يبحثون عن العمليات الداخلية وكيف يدركها الأفراد، فيقومون بالسلوك وفقاً لذلك. فاتجه الاستفسار والاستقصاء إلى الفلسفة الظاهرية ومفاهيمها وتوجهاتها في فهم السلوك وتفسيره، فإذا كانت الظاهرية تفسر السلوك وفق خبرات الفرد كما يدركها في موقف معين أو في لحظة معينة، فإن تعامله مع بنود المقياس الذي ينبغي أن يجيب عنها، فإنه يجيب عنها وفق خبراته الإدراكية كذلك في ذلك الموقف أو في تلك اللحظة التي يتفاعل فيها مع بنود المقياس. فتبين حينئذ أن الظاهرية هي المدرسة الفكرية أو الفلسفية التي تأسس عليها القياس النفسي.

الكلمات المفتاحية: القياس النفسي، السلوكية، الظاهرية.Abstract

This article inquired about the theory behind the practice of psychometrics, and after discussing the differences between the practices of psychometrics between behaviorists and economists, it became clear that behaviorism is not the theory from which psychometrics grew in its intellectual roots, nor in its experimental laboratories, because the behaviorists are environmentalists, and the econometricians They look for internal processes and how individuals perceive them and behave accordingly. Inquiry and investigation turned to the phenomenological philosophy and its concepts and trends in understanding and interpreting behavior. If phenomenology explains behavior according to the individual's experiences as he perceives them in a specific situation or at a specific moment, then his dealings with the items of the scale that he must answer, then he answers them according to his perceptual experiences as well. That situation or at that moment when he interacts with the items of the scale. It then became clear that phenomenology is the intellectual or philosophical school on which psychological measurement was founded

Keywords: psychological measurement, behavioral, phenomenological

مقدمة:

نشأ القياس النفسي فكراً وممارسة، وتمكّنت جذوره، وأزهرت أوراقه وأثمرت، بعد اندماجه مع الإحصاء وتعاونه مع الفكر الكمي، والبحث النفسي بنظام المجموعات في الجامعات البريطانية. وخاصة بعد إسهامات العلماء الإنجليز، وهم: كارل بيرسون C. Pearson، ووليام غوست W. Gossett (Student) وسير رونالد فيشر S. R. Fisher، وفي فرنسا كذلك مع الفريد بيني A. Binet واختباره لقياس الذكاء، قبل أن ينتقل القياس النفسي إلى أمريكا فيستوطن فيها ويزدهر. وظهر القياس النفسي بالصورة التي نمارسه بها حالياً، باستعمال الرقم بمعنى "الكم"، منذ بدايته، وطيلة عقود كثيرة، وتمت ممارسته من خلال إعداد مقاييس واختبارات نفسية، والتعامل مع بياناته إحصائياً، وكان الذي يهتم بالدرجة الأولى هو تلك الإجابات التي يقدمها المفحوص على أسئلة المقياس أو الاختبار النفسي أو بنوده، فقد قدم المفحوص تلك الإجابات ليصف نفسه في تلك اللحظة، ولكن الناس يتساءلون عن مدى صدق تلك الإجابات، ولا أقصد هنا صدق البنود أو صدق الاختبار المتعلق بالخصائص القياسية (الصدق والثبات) للمقاييس والاختبارات النفسية، بل أقصد: هل المفحوص يصف فعلاً ذاته أو خاصيته من خلال تلك الإجابات التي يدلي بها على أسئلة المقياس أو الاختبار النفسي أو بنوده؟ وهنا ينبغي الانتقال إلى السؤال التالي: ما العوامل التي تكمن خلف تلك الإجابات بالذات؟ هل هي عوامل ذاتية، تتعلق بإدراكات المفحوص وخبراته في تلك اللحظة، أو هي عوامل موضوعية، تتعلق بعوامل بيئية؟ وهل توجد نظرية فلسفية أو نفسية، تولت تحديد العوامل التي كانت وراء إجابات المفحوص على أسئلة المقياس أو الاختبار النفسي أو بنوده؟

وفي كلمة افتتاحية لأشغال يوم دراسي حول القياس النفسي، تحدث أحد الأساتذة، فقال: "إن القياس النفسي ظهر مع بحوث المدرسة السلوكية Behaviorism. أو أن القياس النفسي تابع للسلوكية"، فأردت أن أقدم في هذه الورقة الصغيرة توضيحاً، أو تصحيحاً لهذه المعلومة من خلال تحقيق الأهداف الآتية.

1. الإجابة عن السؤال: هل السلوكيون فعلاً هم مؤسسو القياس النفسي؟ سوف ترد مناقشة تفصل بين دور كل من السلوكيين والقياسيين في البحث النفسي عامة وفي القياس النفسي خاصة، ليتبين ما إذا كان السلوكيون فعلاً هم من أسسوا نظرياً للقياس النفسي ويعملون به.

2. الحديث عن النظرية أو المدرسة الفلسفية التي قدمت أفكاراً حاسمة بينت العوامل التي تكمن خلف إجابات المفحوص على أسئلة المقياس بالطريقة التي أجاب بها فعلاً.

3. اطمئنان الباحث القياسي إلى أن إجابات المفحوص تتوفر على الكثير من الصدق الشخصي، أي أن المفحوص قدم إجابات تتفق مع ما يدركه في نفسه إلى حد كبير، وبالتالي فهي محل ثقة بدرجة كبيرة.

4. وإذا تفضلون أكل فاكهة "الخوخ"، مثلما أفضّلها أنا، فقد استعملت سلوك الإقبال على شرائها في مثال شارح لـ "مفهوم الظاهرية". وفي مثال آخر شارح، أيضاً، لـ "مفهوم المجال الظاهري"، تابعوا، إذن، قراءة هذه الورقة إلى نهايتها.

المقارنة بين السلوكيين والقياسيين في البحث النفسي وفي القياس النفسيين وفي خاصية الموضوعية

تابعوا الفروق بين السلوكيين والقياسيين، في الفقرات الآتية.

(1) الفروق بين السلوكيين والقياسيين في البحث والقياس النفسيين.

الفرق الأول. يُعدّ السلوكيون تجريبيين، ويُعدّ القياسيون وصفيين، (والجميع يبحثون بطرق موضوعية).

الفرق الثاني. أجرى السلوكيون معظم تجاربهم على الحيوانات. بينما طبق القياسيون مقاييسهم النفسية على البشر.

الفرق الثالث. يلاحظ السلوكيون السلوك الخارجي للكائن موضع التجربة. بينما يتجه القياسيون إلى التعرف على قدرات الأفراد ومشاعرهم وأمزجتهم وسماتهم. من خلال إجاباتهم على عبارات المقاييس والاختبارات، (وكل من السلوكيين والقياسيين يبحثون السلوك)، كيف ذلك؟ لنأخذ سلوك الخوف، أو انفعال الخوف، كمثال:

(أ) يلاحظ السلوكيون، بطريقة موضوعية، الخوف كسلوك تجنب، أي أن الشخص يتجنب عادة المثيرات التي تثير لديه استجابة الخوف، فالطفل ألبرت Albert، الذي تكونت لديه استجابة الخوف من الفئران، وفق تجربة واطسن/ راينر، صار يصدر منه سلوك التجنب والابتعاد عن الفئران (وما يشبه الفئران) كلما شاهدها في مكان قريب منه. ولا يشير السلوكيون إلى الخوف بكلمة "شعور أو انفعال"، لأنها عمليات داخلية، التي يرفضونها كموضوعات في البحث العلمي النفسي.

(ب) يلاحظ القياسيون، وبطريقة موضوعية، كذلك، الخوف من خلال المقاييس النفسية التي يصممونها لهذا الغرض (بعبارات لفظية، غالباً، ويكون المطلوب من الأفراد تقديم إجابات عنها مما يدركونه من معرفة، إزاء ذواتهم أو إزاء موضوعات وأشياء خارجية، أو يصفون ما يشعرون به، أو يصفون الحالات التي تكون عليها أمزجتهم)، وسواء تمت تسميته بمقياس الخوف، أو انفعال الخوف، أو الشعور بالخوف، أو سلوك الخوف ويقاس الخوف، لدى الأطفال والراشدين، عادة بواحد من الأسلوبين الآتين: (ولا أتحدث عن أنواع مقاييس الخوف، فليس من أهداف هذه الورقة).

1. بعبارات استفهامية، مثل: هل تخاف من الظلام؟ نعم (.....) لا (.....). (هكذا يقاس القلق لدى الأطفال باستعمال بديلين).

2. أو بعبارات تقريرية (أو تقدير ذاتي)، مثل: أخاف من الظلام. لا (.....) قليلاً (.....) كثيراً (.....). (يقاس القلق لدى الراشدين باستعمال أكثر من بديلين).

إنه في الحالتين، عندما يشرع الفرد في الإجابة عن البند السابق، فإنه يختبر حالاته الداخلية، أي مشاعره ومزاجه وهو يواجه مضمون عبارة محددة، هو: الخوف من الظلام.

وهذه كلها عمليات داخلية، يرفضها السلوكيون رفضاً تاماً، ويستبعدونها نهائياً من متغيرات ومفاهيم البحث النفسي.

الفرق الرابع. كيف يقيس السلوكيون السلوك، وكيف يقيسه القياسيون؟

(أ) السلوكيون. نقرأ في المؤلفات التي تتحدث عن بحوث السلوكيين في التعلم أنهم يقيسون السلوك، ولكن كيف يقيسونه؟

يقيس السلوكيون السلوك في بحوثهم التجريبية حول التعلم بحساب عدد مرات صدور استجابة معينة من الحيوان أثناء وجوده في التجربة، ولا شيء غير هذا. مثل: حساب عدد المرات التي ضغط فيها الفأر على الرافعة، أو حساب عدد المرات التي اتجه فيها الفأر إلى الممر الأيسر، وهو يسير في متاهة على شكل الحرف اللاتيني Y، أو حرف T، أو

حساب عدد المرات التي ينقر فيها طائر الحمام على قرص لونه أخضر.... وهكذا، وكما نلاحظ فإن هذه القياسات ليست نفسية. وليست كمية. ويستدلون منها على أن حيوان التجربة اكتسب الاستجابة المطلوب منه تعلمها، والتي كانت موضوع التجربة، ويقومون، غالبا، بعرض نتائج هذه القياسات في رسوم وأشكال بيانية، مبينين المتغير المستقل الذي يكون في الغالب تعزيزا (طعام) أو عقابا (صدمة كهربائية) والمتغير التابع، وهي الاستجابات موضع البحث، وحساب عدد مرات صدورها.

ويقولون عبارتهم الحاسمة، إنهم: "يقيسون الأداء"، أي السلوك، ويستدلون من تلك القياسات على حدوث التعلم لدى الحيوان من عدمه. ورغم أن "التعلم" هو الموضوع الأساسي للسلوكيين، إلا أنهم لا يستعملون كلمة "التعلم" في تقاريرهم البحثية، لأنها كلمة استدلالية، لا تلاحظ مباشرة، ويستعملون بدلا منها، كلمة "الأداء"، كما ذكرت. وإذا استعملنا الطابع الكمي والمرادف لمفهوم القياس، فإن هذا الذي يقوم به السلوكيون ليس قياسا، لأنهم لا يمنحون "درجة كمية" للحيوان بعد قيامه بالاستجابة المطلوبة (الأداء المطلوب)، بل يقومون بعدّ (العدّ) تكرار الاستجابة التي يؤديها الحيوان في التجربة، ولكنهم، مع ذلك، يسمونه قياسا.

(ب) القياسيون. يقيس القياسيون السلوك باستعمال المقاييس اللفظية، غالبا، فيقومون بإعداد عبارات لفظية يفترضون أنها تتعلق بخاصية أو متغير معين (القلق، مثلا)، يريدون قياسه لمعرفة "كم" يوجد منه لدى مجموعة معينة من الأفراد مقارنة بمجموعة أخرى، أو مدى ارتباطه بمتغير آخر لدى نفس المجموعة من الأفراد. ويقدمون تلك العبارات إلى مجموعة من الأفراد للإجابة عنها، وعند تصحيح تلك الإجابات، يمنحون لكل فرد "درجة" تشير إلى "كم" يوجد لديه من تلك الخاصية، ولكن بعد مقارنتها بمقياس معين، مثل المتوسط الحسابي للمجموعة التي أدت مع الفرد على نفس المقياس. أو يستخرجون من درجات الأفراد قيمة معيارية "مشتركة" هي المتوسط الحسابي، يقارنون من خلالها بين المجموعات في "كم" يوجد من تلك الخاصية المقاسة.

وإذا استعملنا الطابع الكمي المرادف لمفهوم القياس، فإن هذا الذي يقوم به القياسيون هو القياس الصحيح، لأنهم يمنحون للفرد "درجة كمية" على استجابته لبنود المقياس، تشير إلى "كم" يوجد لديه من تلك الخاصية.

(2) خاصية "الموضوعية" في بحوث السلوكيين وفي بحوث القياسيين. ذكرتُ في بداية هذه الورقة أن السلوكيين والقياسيين يبحثون جميعا بطرق موضوعية، فكيف ذلك؟

إذا كانت الموضوعية تعدّ شرطا أساسيا لإدراج أي عمل بحثي ضمن نتائج العلم الموثوق به، فأين الموضوعية في أعمال السلوكيين وأين الموضوعية في أعمال القياسيين؟
تابعوا الإجابة والتوضيح فيما يأتي:

(أ) الموضوعية لدى السلوكيين. سار السلوكيون في طريق الموضوعية في أبحاثهم من خلال كلامهم بالفاظ تشير إلى ما يمكن ملاحظته خارجيا لدى جميع الناس، مثل: الفأر يجري، الفأر يتوقف عن الجري، الطفل يتجنب فأرا، الحمام ينقر، الحمام يحرك جناحه الأيسر.... وغيرها. وتجنبوا تلك الكلمات الاستدلالية التي تشير إلى أشياء لا يمكن ملاحظتها بعينها خارجيا، مثل: الفأر جائع، الطفل خائف، طائر الحمام يشعر بالملل.

ويقولون عبارتهم الحاسمة، بأنهم: "يقيسون الأداء"، أو "يبحثون الأداء"، أي السلوك، ليستدلوا من تلك القياسات على حدوث التعلم لدى الحيوان من عدمه.

فلا يقولون: "الفأر جائع"، بل يقولون: "مضت ثماني ساعات بعد آخر وجبة طعام تناولها الفأر". أو يقولون: "نقص وزن طائر الحمام بقدر الثلث". ولا يقولون الطفل يخاف من الكلب، بل يقولون: "الطفل يتجنب الكلب". ولا يقولون الأم "تحب" طفلها، بل يقولون: "احتضنت الأم طفلها لمدة 10 دقائق". ولا يقولون عمر "يحب" سامية، بل يقولون: "مكث عمر مع سامية لمدة ساعتين من الزمن". إنهم يستعملون الإجرائية، دون أن يذكروا ذلك.

المفاهيم المجردة لدى السلوكيين تقع خارج مجال البحث العلمي. وهنا ألفت الانتباه بأن هناك فرقا بين حديث السلوكيين عن المفاهيم المجردة، مثل: القلق، والجوع، والحب وغيرها، في أحاديثهم اليومية العادية، وحديثهم عنها بصفتهم باحثين لهذا المفاهيم تجريبيا. ففي الحالة الأولى، يتحدثون عن كل المفاهيم المجردة التي لا تلاحظ مباشرة، كما يتحدث عنها عامة الناس بأسمائها في اللغة اليومية، أما في مجال بحوثهم العلمية في إطار المدرسة السلوكية، ومنهجها، فلا يشيرون إلى هذه المفاهيم كما هي في اللغة اليومية، بل يعبرون عنها كما يلاحظونها سلوكيا.

(ب) الموضوعية لدى القياسيين. سلك القياسيون، أيضا، طريق الموضوعية، فهم يقومون بقياس القلق أو الدافعية، لفظيا، كما ذكرتُ، وينقدون ذلك، موضوعيا، ضمن الإجراءات الآتية: 1. توحيد طريقة الإجابة عن بنود المقياس، 2. توحيد طريقة تصحيح الإجابات، 3. توحيد طريقة الحصول على الدرجة الخام لكل مفحوص، 4. وتوحيد طريقة التعرف على الفروق بين المفحوصين في المتغير موضع القياس،

إن توحيد هذه الإجراءات، هو الذي جعل عملية القياس "موضوعية"، مثلها في ذلك مثل التجارب. والدليل القطعي (الذي لا يرد) على موضوعيتها، هي "قابلية عملية القياس النفسي للإعادة"، مثل التجارب، بمعنى: أن أي باحث في أي زمان وفي أي مكان، بإمكانه إعادة عملية القياس النفسي بنفس المقياس وبنفس الطريقة. وإضافة نتائج ذلك القياس إلى ما سبق من نتائج قياسات أخرى تم إجراؤها بنفس المقياس. لأن "القابلية للإعادة" هي الشرط العملي الأساسي، أو الشرط القوي جدا لتأكيد "الموضوعية" في البحث العلمي.

ويُعدّ شرط "القابلية للإعادة"، النقد القاسي جدا، بل القاتل، لأعمال فرويد والنتائج التي قال بها في مجال التحليل النفسي، لأن ما كان يقوم به إزاء كل مريض عصابي في عيادته، غير قابل للإعادة من محللين نفسيين آخرين، للتأكد من صدقه أو من فاعليته، مما جعل كل أعمال فرويد "تفتقد للموضوعية"، وبالتالي تفتقد لخاصية العلمية.

وخلاصة الكلام السابق عن السلوكيين.

(أ) يُعدّ السلوكيون بيئيّين، أن أنهم يقولون: "إن السلوك يتأثر بما يحدث في البيئة"، وما يحدث في البيئة: (1) مثيرات وتعقبها استجابات، (2) وما يعقب الاستجابات من تعزيز أو عقاب.

إليكُم ما يقوله سكينر، وهو أكثر السلوكيين تمكنا علميا: لو نسأل قائلين له: ما سبب الأكل، أو ما سبب تناول الكائن للطعام؟ هل هو شعوره بالجوع؟

سجيبنا بما يأتي: إن الشعور بالجوع سلوك، ولكن ليس هو سبب تناول الكائن للطعام، لأنه ليس متغيراً بيئياً، بل هناك واحد من السببين لتناول الأكل: الأول أن الكائن وجد طعاماً شهياً في بيئته. والسبب الثاني هو مرور أكثر من أربع ساعات بعد آخر وجبة من الطعام تناولها الكائن، وكلا السببين بيئيين.

(ب) أما القياسيون فيسعون إلى التعرف على العمليات الداخلية للفرد (قدرات وسمات ووجدانات وأمزجة)، التي جعلته يسلك بطريقة معينة، من خلال إجابات الأفراد على المقاييس اللفظية، غالباً، التي يصممونها لهذا الهدف. السلوكية ليست هي النظرية التي نما في أرضها القياس النفسي. تبين، مما سبق، أن السلوكية ليست هي الخلفية النظرية والفكرية التي قامت عليها ممارسات القياس النفسي، ولا علاقة لها كذلك بالممارسة العملية للقياس النفسي.

وأدعم كلامي هذا بموقف أحد عمالقة السلوكية وأقدرهم على البحث فيها، بلا منازع، وهو ب. ف. سكينر B. F. Skinner. والذي صدر من سكينر، أنه أثناء قيامه بإعداد نص سابق عن الشخصية، مع أحد زملائه في البحث، يدعى (تشارلز بوتكي Ch. Potkey)، طلب بوتكي من سكينر أن يكمل مقياساً عن الشخصية، فأجابه سكينر، بأنه: "لا يحب أن يبدو صاحب نزوات غريبة، ولا يؤمن بمثل هذه القياسات". (BEM B. ALLN، 2013، 568).

He does not like to appear to have Strange tendencies and does not believe in such measures. والآن، إذا كان الفرد عندما يكون بصدد الإجابة عن بنود مقياس، ويستعمل قدراته الإدراكية، وفهمه، ومشاعره، وحالاته المزاجية. وهذه يرفضها السلوكيون، ما النظرية العلمية أو الفلسفية التي يمكن أن تفسر لماذا يقدم المفحوص تلك الإجابات دون غيرها على بنود المقياس النفسي؟ لأن قيام القياس النفسي عملياً، في ممارسات البحث النفسي، حدث عندما التقى علم النفس بالإحصاء، وبالبحث النفسي بطريقة المجموعات، في جامعات بريطانيا أو إنجلترا، ثم بعد ذلك في جامعات أمريكا.

الفلسفة الظاهرية والقياس النفسي يُعدّ الفكر الظاهري فلسفة، والفلسفة معرفة كيفية، أما القياس النفسي فيُعدّ، في جوهره، معرفة كمية، وبالتالي فإن الظاهريين لم يتحدثوا على القياس النفسي، وظهر القياس النفسي في بدايته في فرنسا من خلال مقياس أو مدرج ألفريد بيني A. Binet للذكاء (1904/1905، 1908، 1911)، ولكن ربما يكون الألماني/هرمان ابنجهاوس H. Ebbinghaus أول من قام بعملية القياس العقلي في تجاربه الشهيرة حول الذاكرة، في عام (1885)، ثم ظهر القياس النفسي في إنجلترا من خلال أعمال المنظرين في الذكاء وفي الشخصية، ثم تطوّر كثيراً، بعد ذلك، في الجامعات الأمريكية من خلال أعمال المنظرين في الذكاء وفي الشخصية وفي الإبداع وفي الدافعية وفي السلوك النفسي الاجتماعي وغيره. ويريد الذين يشتغلون بالقياس النفسي، أن يعرفوا لماذا يجب المفحوص على بنود المقياس بالطريقة التي يجب بها، فكانت أفكار الظاهرية وتفسيرها للسلوك، تتوفر لديها الإجابة على انشغالات القياسيين.

عنصر القياس النفسي. من العناصر التي يقوم عليها القياس النفسي المكونين أو العنصرين الآتين؛ يتمثل العنصر الأول في المتغير النفسي (الذكاء أو الشخصية أو الدافعية، مثلاً)، الذي يعدّ له المقياس أو الاختبار النفسي لقياسه، ويتم التعامل مع إجابات المفحوصين كمياً، وهذا، ببساطة، جوهر القياس النفسي في ممارسته عملياً، أما العنصر الثاني، فهو المفحوص أو الفرد (التلميذ أو العامل وغيرهما) وخصائصه الإدراكية ومجاله الظاهري، وخبراته

الشعورية في تلك اللحظة التي يجب فيها عن أسئلة المقياس أو الاختبار النفسي أو بنوده، وهذا العنصر أو هذا الجانب من القياس النفسي، هو الذي يعدّ موضوعاً مناسباً لفلسفة الظاهريين وتفسيرهم للسلوك (بما في ذلك إجابات المفحوص على أسئلة المقياس)، لأن إجابات المفحوص على أسئلة المقياس أو الاختبار أو بنوده، تُعدّ سلوكاً، مثله في ذلك مثل أي سلوك آخر، يحتاج إلى فهم وتفسير، وتنبؤ، كذلك.

الاهتمام بالمتغير وقياسه وإهمال الفرد المجيب على المقياس. اهتم علماء القياس النفسي، منذ عقود طويلة، بالمتغير النفسي محل القياس، كما اهتموا بالمقاييس والاختبارات النفسية، من حيث إعدادها وصياغة بنودها وتعليماتها، والتعرف على خصائصها القياسية، والتعامل مع نتائجها، أما الفرد فقد اهتموا، بخصائصه الخارجية: كالجنس والسن والمهنة والمستوى التعليمي ومقر الإقامة وخصائص عقلية وشخصية معينة، ولكن القياس النفسي لا يتعلق بهذه الجوانب فقط، إضافة إلى ذلك، هناك جوانب للمفحوص أو الفرد الذي يقدم إليه المقياس أو الاختبار النفسي ليجيب عن أسئلته أو بنوده، تم إهمالها، رغم أن إجابات المفحوص على المقياس أو الاختبار النفسي، هي التي تقوم عليها نتائج البحث النفسي، فقد تم إهمال العوامل التي تكمن خلف تقديم المفحوص لتلك الإجابات، وكانت نتيجة هذا الإهمال، أن تسرب الشك إلى الناس، الذين يريدون أن يتعاملوا مع نتائج البحوث الكمية، حول مدى صدق الإجابات التي يقدمها المفحوصون للمقاييس والاختبارات النفسية، التي يجيبون عن أسئلتها أو بنودها، حتى وصل الأمر بأولئك الذين لا يتوفرون على معلومات كافية عن طبيعة القياس النفسي، وطبيعة السلوك البشري، أن رفضوا نتائج البحوث التي تقوم نتائجها على البيانات التي يتم جمعها من العينات بالمقاييس والاختبارات النفسية. وتعرضت، بسبب ذلك، إلى انتقادات.

وتم توجيه النقد إلى المقاييس والاختبارات النفسية، عامة، وإلى مقاييس الشخصية، بصفة خاصة، باعتبارها لا تقدم وصفاً حقيقياً للشخصية. (صفوت فرج، سهر كامل، 1985، 1). وأمام هذه المعضلة، وجد القياسيون في فلسفة الظاهريين فكراً عرفوا من خلاله أن المفحوص يقوم بتقديم تلك الإجابات وفق عوامل إدراكية، وخبرات ذاتية، كانت حاضرة في شعوره وتتعلق بمعاني عبارات المقياس في تلك اللحظة التي أجاب فيها عن أسئلة المقياس أو الاختبار النفسي. إن حقيقة ما يقاس هو ما يدركه الشخص في نفسه.

وبفضل الفكر الذي قدمته الفلسفة الظاهرية، كان الرد المباشر على النقد الذي تم توجيهه إلى مقاييس الشخصية، بأن ما يهم ليس هو صحة أو حقيقة الوصف الذي تقدمه المقاييس للشخصية، ولكن ما يعتقد الشخص أنه حقيقته. فعندما يُقدّم إلى شخص ما السؤال التالي، (الذي يمكن أن يكون من مقاييس الشخصية، أو من مقاييس القلق الاجتماعي): "هل تعاني من الارتباك عندما تكون بصدد إلقاء كلمة أمام الآخرين؟"، فيجيب بـ "نعم"، فإن ما يهم بدقة في قياس شخصيته، ليس كونه يعاني من الارتباك فعلاً أو لا يعاني منه، ولكن اعتقاده الشخصي أنه يعاني من الارتباك. فالشخص هنا يقدم وصفاً لسلوكه وفق إطار مرجعي معين، ويحكم هذا الوصف سلوكه في المواقف المختلفة. (صفوت فرج، سهر كامل، 1985، 1). أي أنه: "أجاب على السؤال كما يدرك مدلوله ومعناه حول نفسه في تلك اللحظة، أو كما يدرك حالته وهو يتعرض لمدلول ذلك السؤال".

كيف تفسر الفلسفة الظاهرية السلوك؟ أسّس الفيلسوف الألماني/ إدموند هوسرل (1859 - 1938) Edmund Husserl، الفلسفة الظاهرية Phenomenological philosophy، وتتولى الظاهرية Phenomenal دراسة الظواهر، والظاهرة من الناحية اللغوية، هي ما يظهر للمشاهد أو الملاحظ، وتعني الظاهرية، أنه يجب عند الدراسة، أن تؤخذ الظواهر من حيث كونها تدرس في ذاتها، بطريقة مباشرة، بغض النظر عن أسبابها ومصاحباتها، والدراسة الظاهرية، إذا اعتبرنا أنها أسلوب فكري تأويلي في علم النفس، تؤكد على الخبرة، كما يعايشها الفرد (في لحظة معينة)، وتعارض أي تحليل من شأنه تحطيم الحادثة النفسية إلى أجزاء متناثرة. (محمد شحاتة ربيع، 2013، 317).

ويقول هوسرل: إن المعرفة (الخبرة) بأي موضوع هي فعل نفسي، ويجب دراسة أي موضوع كما يبدو في الشعور. (عبد المنعم الحفني، د. ت، 373).

ويذهب الظاهريون إلى أن المحدد الهام للسلوك، ليس هو المثير في حد ذاته، بل هو بدرجة أكبر، إدراك وفهم الفرد لذلك المثير. وبمعنى آخر: فإن الطريقة التي يدرك بها الشخص الأحداث المحيطة به، أو التي تقع له، تحدد الأسلوب الذي يتصرف به، أو يعمل به إزاء تلك الأحداث. (مصطفى فهمي، 1967، 107).

وللظاهرية أصول ترجع إلى القرن التاسع عشر، باعتبارها تمثل في جانب منها نقدا للوضعية Positivism. وكان المفكرون الظاهريون ينتقدون العلوم الطبيعية، لأنها تسلم بوجود حقيقة "موضوعية" مستقلة عن وعي الفرد. ولا يقتصر أمر الظاهرية على كونها فلسفة فقط، بل هي إلى جانب ذلك طريقة من طرق البحث، تهدف إلى معرفة ما يدركه الفرد في بيئته، ويتصرف إزاءها وفق ذلك، أي وفق ما يعيشه من خبرات. والمفكرون الظاهريون معنيون بأسئلة مثل: (1) كيف يخبر الأفراد الاحتضار، أي معاناة سكرات الموت (Kulber-Ross, 1969). (2) كيف يخبر المرء الاكتئاب؟ (Karp, 1997). (3) كيف يخبر المرء الطلاق؟ أي كيف يشعر به؟ (Kohler-Riessman, 1987). ويرى الظاهريون، أنه لا توجد حقيقة واحدة، للطريقة التي يعي بها الناس كل حادثة من هذه الحوادث على حدة. ذلك أن الخبرة يتم إدراكها وفقا لمجموعة متنوعة من الأبعاد: كيف تتم معايشة الخبرة في الزمان، وفي المكان، وفي ضوء علاقاتنا بالآخرين، وكيف يعايشونها بصفها خبرة جسدية؟ (شارلين هس. بيبر، باتريشيا ليفي، 2011، 92).

ويرى سنيج وكومبس (Snigg & Combs, 1949)، (وهما من أتباع الفلسفة الظاهرية)، أن السلوك كله، ودون استثناء، يتوقف على الإطار المرجعي الشخصي للفرد، الذي يقوم بالسلوك. أي المجال الظاهري كما يبدو للشخص في لحظة معينة. ويتكون المجال الظاهري من مجموع الخبرات التي خبرها الشخص، ووعيا في لحظة القيام بالسلوك. وهذه الخبرات لا تصبح لا شعورية أبدا. فالمجال الظاهري هو سبب السلوك. وإذا أمكن التعرف على وصف للمجال الظاهري، أمكن التنبؤ بالسلوك الذي سوف يصدر من الشخص. ويتغير المجال الظاهري بتغير الحاجات والأنشطة المتعلقة بها. ويعتقد سنيج وكومبس: أن على علم النفس أن يقبل الفكرة الشائعة، التي مضمونها: "إن الوعي هو سبب السلوك، وأن ما يعتقده الفرد وما يستشعر وما يخبره، يحدد ما سوف يفعله". (سيد محمد غنيم، 1975، 687، 688).

ويحسم كومبس (Combs, 1981)، الأمر، من خلال العبارة الحاسمة الآتية، أن: "السلوك دالة للإدراك Behavior is a function of perception"، ويترتب على ذلك (في مجال القياس النفسي)، أن يصير من الممكن الاستدلال

على المتغير موضوع القياس، من عينة السلوك الذي نتج عنه، ووقف المتغير خلفها. وعلى هذا الأساس، تكون الخطوة الأولى هي الحصول على بعض العينات السلوكية التعبيرية Expressive للمتغير، (صفوت فرج، سهير كامل، 1985، 12). وفي تصور آخر، شبيه بهذا، يؤيد ما سبق قوله فيما تذهب إليه الظاهرية، رغم أسبقيته التاريخية والبعيدة في الزمن، وفي مجال الاضطرابات، أن طريقة إدراك المواقف والأشياء، وطريقة التفكير فيها، هي التي تجعل الفرد يتصرف إزاءها بطريقة معينة، وتمّ التعبير عن هذه الفكرة الرائعة، منذ عهد الإغريق، حين كتب الفيلسوف اليوناني/ إبيكتيتوس Epictetus (عاش بين 50 سنة ق. م / 150 سنة بعد الميلاد)، قائلا: "إن الناس لا يضطربون بسبب ما يمرون به من أحداث ومواقف، بل بسبب نظرتهم الخاطئة إلى تلك الأحداث والمواقف". (بيرني كوروين، بيتر رودل، ستيفين بارمل، 2008، 29، 30). People are not disturbed by the events and situations they go through, but by their wrong view of those events and situations".

وعلى هذا المنوال، يمكن القول: "يسلك الناس إزاء الأفكار والمشاعر والأشياء والظواهر، ليست كما هي في الواقع، ولكن كما يدركونها". بمعنى: أن "السلوك دالة للإدراك". كما قال: كومبس، ذلك.

ملخص أفكار الظاهريين إذا قمنا بجمع الأفكار السابقة لدى الظاهريين، وهي:

1. السلوك دالة للإدراك.
2. إن المحدد الهام للسلوك هو "إدراك وفهم" الفرد لذلك المحدد.
3. يتوقف السلوك كله على الإطار المرجعي للفرد الذي يسلك.
4. إن الوعي هو سبب السلوك، وأن ما يدركه الفرد، وما يستشعر، وما يختبره، وما يعتقده يحدد كيف يسلك، وما سوف يفعل.
5. المجال الظاهري هو سبب السلوك.

فإننا نصل إلى ما يأتي: الفرد يجيب على بنود المقياس النفسي وفق عوامل ذاتية. (قدرات وسمات ووجدان). إذا قمنا بجمع الأفكار السابقة، وحددنا الفكرة الأساسية التي تشترك فيها، عرفنا أن السلوك الذي يعبر به الفرد إزاء ما يتعرض له من إثارات، ومن بينها عبارات المقاييس النفسية، محكوم بما يدركه لديه من قدرات وسمات ونزعات ومشاعر ووجدان، إزاء عبارات المقياس، أي وفق "مجاله الظاهري"، إن حقيقة سلوك الفرد هو ما يدركه في نفسه وعن نفسه، ثم ما يقوله عن نفسه. وهذه هي نفس الأفكار التي يقوم عليها القياس النفسي، وتُستعمل وفقا لذلك أدواته. فالشخص عندما يجيب على عبارة في مقياس، بأنه يعاني من القلق، أو يعاني من الاكتئاب، فإن اعتقاده الشخصي هذا، هو حقيقته من الناحية النفسية.

وفيما يأتي عبارات من قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية.

العبارات	لا	قليلا	وسطا	كثيرا
أشعر بالقلق	...		...	

...	...		...	أحب أن يكون حولي عدد كبير من الناس
...	...		...	أنا لطيف ومهذب مع كل فرد ألتقي به

إن الفرد الذي تُعرض عليه هذه البنود، فإنه قبل أن يجيب عنها، يقرأها بإمعان، فيدرك معناها، ويفهم دلالتها، ويتعرف على خبراته إزاءها، وعندئذ يقدم الإجابة التي تتسق مع ما أدركه، أي وفق "مجاله الظاهري".

ما درجة شعوره بالقلق؟ إلى أي درجة يحب أن يكون حوله كثير من الناس؟ وإلى أي درجة يدرك نفسه أنه مهذب مع كل الأفراد الذين يلتقي بهم؟ إنه يجيب على البنود، كما يدرك هو وصفها له.

المقياس النفسي بين القياسيين والظاهريين. بعد أن تم الحديث عن المقارنة بين السلوكيين والقياسيين، ثم الحديث عن الظاهريين والقياس النفسي، أقارن هنا بين القياسيين والظاهريين في جوانب اهتمامهم بالقياس النفسي. لأنه في عملية تطبيق أداة للقياس النفسي، هناك:

1. المقياس وبنوده أو أسئلته وتعليماته وطريقة الإجابة عن بنوده أو أسئلته.
 2. وهناك المفحوص الذي عليه أن يجيب على بنود المقياس أو أسئلته،
- وفي هذه الحالة، يتولى الظاهريون ما يتعلق بالمفحوص، بينما يتولى القياسيون شؤون المقياس النفسي، وفيما يلي مناقشة لقضايا المفحوص، ولشأن المقياس النفسي.

- (أ) يولي الظاهريون اهتمامهم بالشخص الذي يكون بصدد الإجابة عن بنود المقياس أو الاختبار النفسي.
- (ب) يوجه القياسيون ملاحظاتهم وانتقاداتهم، عادة، لأدوات القياس النفسي، ونتائجها،
- (ج) يوجه القياسيون ملاحظاتهم أساساً إلى كون بنود المقياس كفاءة في قياس المتغير محل القياس أو ليست كفاءة.
- (د) لا يوجه القياسيون ملاحظاتهم إلى كون المفحوص صادقاً في إجابته أو لا.
- (هـ) إن مسألة كون المفحوص صادقاً في إجابته على بنود المقياس أو ليس صادقاً، تناولها القياسيون ضمن مفهوم "الاتجاه نحو الاختبار"، وورد في مؤلفات القياس النفسي بمفهوم "تزييف الاستجابة"، واقترح القياسيون إجراءات معينة ينبغي القيام بها من أجل التقليل من "التزييف في الاستجابات"، وهي كما يأتي:

1. عدم كتابة المفحوص لاسمه على ورقة الإجابة.
2. تقديم بنود موجبة وبنود سالبة.
3. إغفال اسم المتغير محل القياس، إذا كان الاختبار أو المقياس يتعلق بسمات الشخصية، ولكن إذا تعلق بقياس القدرات والاستعدادات، فيجب ذكر اسم المتغير بوضوح.
4. إدراج بعض البنود المشتتة لانتباه المفحوص فلا يتعرف على موضوع المقياس أو هدفه، بالنسبة لمقياس سمات الشخصية والأمزجة.
5. إدراج بنود تقيس الكذب في إجابات المفحوص.

6. تجنب إعطاء مقاييس أو اختبارات طويلة من حيث عدد بنودها، لأنها سوف تسبب التعب والملل للمفحوصين، مما يجعلهم يقدمون أي إجابات للتخلص منها.

7. تجنب تقديم المقاييس والاختبارات النفسية للأفراد للإجابة عن بنودها في أثناء بعض الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية الخاصة أو الطارئة، والانتظار حتى تزول، لأنه إذا تسببت تلك الظروف في إعاقة عملية إشباع حاجات أساسية للأفراد، فسوف يتأثرون بها، ويظهر ذلك في اتجاهاتهم نحو بنود المقياس النفسي، مما قد يؤدي إلى تحريفهم للإجابات وتزييفهم لها. فعلى سبيل المثال، كتبت وسائل الإعلام الوطنية، في الأيام القريبة الماضية، أن سكان ولاية المدية يعانون من فقدان حليب الأكياس المبستر، ففي هذه الظروف الضاغطة مما سببه من حرمان لإشباع حاجة جسمية أساسية للأفراد، فإن تقديم مقياس يتضمن عبارات، مثل: الحياة قاسية، أحب وطني، أنا متشائم من هذه الحياة، أرغب في الهجرة إلى بلد آخر، أنا عاجز عن إشباع حاجاتي الأساسية وغيرها، سوف تكون هذه العبارات أو البنود عرضة للتزييف عند الإجابة عنها، أي أن الأفراد سوف يبالغون في إعطائها إجابات نمطية محددة. إلا إذا كان هدف الباحث هو قياس متغير نفسي معين عند الأفراد وهم في هذه الظروف. فعندئذ تكون الظروف مناسبة جدا، لتحقيق ذلك الهدف. والأمر نفسه عند تقديم مقاييس واختبارات نفسية للطلبة، وهم على أبواب إجراء امتحانات، مثلا، أو في وقت تعرضوا فيه لضغوط مفاجئة وحادة، بسبب صدور قرارات إدارية يرون أنها مجحفة في حق من حقوقهم. إلا إذا كان الباحث يريد معرفة استجابات الطلبة على المقياس في هذا الطرف بالذات. فعندئذ تكون الظروف مناسبة جدا، لتحقيق ذلك الهدف.

"السلوك دالة للإدراك" و"الإقبال على شراء فاكهة الخوخ" فالظواهر والأشياء ليست ثابتة لدى الظاهريين.

1) ظاهرة إدراك فاكهة الخوخ والفروق بين الأفراد في شرائها.

كنت في أحد الأيام جالسا في مقهى، بعيدا عن مدينة باتنة، بمعينة شخص آخر من معارفي (صاحبي)، خريج جامعة، في تخصص آخر، ويتوفر على بعض المعلومات في علم النفس، فأراد أن يختبر مدى صحة تلك المعلومات عنده من خلال مناقشتها معي، وتشعب بنا الحديث في موضوعات شتى في علم النفس، إلى أن وصل بنا إلى القياس النفسي وأساسه الفكري، وممارساته، وعلاقته بالإحصاء، وبالكلم، فطلب مني توضيحا لمفهوم "الظاهرية" بمثال بسيط، وكان في الجهة المقابلة من الشارع تاجر فواكه، ولاحظنا إقبال المتسوقين على شراء "فاكهة الخوخ"، التي كانت من بين ما عرضه من سلعته "النباتية"، أي خضر وفواكه.

قلت لصاحبي: نشاهد الآن إقبال الناس على شراء "فاكهة الخوخ"، سأخذها مثالا عمليا ملائما جدا لشرح مفهوم "الظاهرية"، وكيف يفسر الظاهريون السلوك، فالناس الذين يشترون الآن "فاكهة الخوخ"، ليس لأنها كذلك، بل يشترونها لأسباب أخرى داخلية كخبرات "ظهرت" في عقولهم في هذه اللحظة، وفي مشاعرهم، وفي وجدانهم، بمعنى: أنهم يشترون الخوخ كما يدركونه، وليس كما هو في الواقع. وقلت له تابع وانتبه إلى ما أقوله، إنهم كل واحد منهم يشتري الخوخ كما يدركه، وليس كما هو في الواقع، كفاكهة: اشترى أحدهم فاكهة الخوخ لأنها الفاكهة المفضلة لديه، اشترى الآخر فاكهة الخوخ لأنها مناسبة في سعرها مقارنة بأسعار الفواكه الأخرى، اشترى الثالث فاكهة الخوخ لأنه يعرف أن والدته تشتريها وهذه مناسبة جيدة للبر بها والإحسان إليها، اشترى الرابع فاكهة الخوخ مسيطرة لإقبال الناس على شرائها، اشترى

الخامس فاكهة الخوخ مسيطرة لأحد الأشخاص من ذوي المكانة الاجتماعية المرتفعة الذي اشتراها، اشترى السادس فاكهة الخوخ لأن أحد مرافقيه اشتراها. اشترى السابع فاكهة الخوخ لاعتقاده أنها مفيدة من الناحية الغذائية أفضل من فاكهة العنب، مثلاً. واشترى الثامن فاكهة الخوخ لأن أطفاله الذين يرافقونه طلبوا منه ذلك... وهكذا. واشترى الآخرون كلهم "فاكهة الخوخ"، بعد ذلك، كما يدركونها في تلك اللحظة.

وتقدمنا، أنا وصاحبي، أيضاً، من ذلك التاجر وابتاع كل واحد منا منه 1 كغ من "فاكهة الخوخ".
أما أنا فقد ابتعت فاكهة الخوخ لأنها الفاكهة المفضلة لديّ، أما صاحبي فقد ابتاع فاكهة الخوخ حتى لا ينسى تفسير الظاهريين لحدوث السلوك.

(2) الشجرة والفروق بين الأفراد في إدراكها. وهناك، أيضاً، عدد من الإدراكات للشجرة، بصفته مثيراً موضوعياً؛ فقد أدركها الشخص الأول على أنها تنتج ثماراً لذيذة، وتصرف معها على أساس هذا الإدراك. وأدركها الشخص الثاني على أنها تتميز عن غيرها من الأشجار الأخرى بظلها الوفير في فصل الصيف، وتصرف معها على أساس هذا الإدراك. وأدركها الشخص الثالث على أنها معوّقة لشق طريق، فتصرف معها على أساس هذا الإدراك.

(3) الشخص والفروق بين الأفراد في إدراكه. هناك عدد من الإدراكات لشخص ما؛ فالبعض يدركونه على أنه أب، فيسلكون إزاءه على أساس هذا الإدراك، والبعض الآخر يدركونه على أنه تاجر، فيسلكون معه على أساس هذا الإدراك، والبعض الثالث يدركونه على أنه شخص طيب ومتعاون، فيسلكون معه على أساس هذا الإدراك، والبعض الرابع يدركونه على أنه أخ شقيق، فيسلكون معه على أساس هذا الإدراك. وإحدى النساء تدركه على أنه زوجها، فتسلك معه على أساس هذا الإدراك.... وهكذا.

فالسلك لدى الظاهريين يحدث وفق إدراكات الفرد لخبراته في تلك اللحظة إزاء المثير الذي يتعرض له، والشيء نفسه عندما يجيب المفحوص على بنود المقياس.

واستفسر صاحبي، أيضاً، عن مفهوم "المجال الظاهري Phenomenal Field".

مثال حول "المجال الظاهري" من سلوك الفرد.

إن "المجال الظاهري" عبارة عن مجموعة من الخبرات المتوفرة لدى الشخص في موقف معين، أو في لحظة معينة، وتتأثر من تلك الخبرات، يندفع الشخص نحو القيام بالسلوك الذي يناسب تلك الخبرات أو يمنعه. إن أحد المتسوقين الذي اشترى "فاكهة الخوخ"، فقد كانت الخبرات التي تجمعت في "مجاله الظاهري"، في ذلك الموقف، أو في تلك اللحظة، هي ما يأتي: 1. التعرف على فاكهة الخوخ، 2. الإحساس بمظهرها الجميل، 3. إنها فاكهة لذيذة. 4. ذات سمعة طيبة. 5. رائحتها منعشة. 6. يقبل الناس على شرائها. 7. سعرها مناسب. 8. هي الفاكهة المفضلة لديه. 9. أفراد أسرته سوف يستمتعون بها. 10. لها قيمة غذائية مفيدة. 11. يساير أولئك الذين يشترونها. 12. ينبغي أن يعود إلى منزله وقد جلب فاكهة لذيذة لأفراد أسرته.....

هذه الخبرات الإدراكية، وهي شعورية كلها، كما نلاحظ، أثر بعضها أو كلها على الفرد فقام بالسلوك الذي تمت ملاحظته.

ومعنى قول الظاهريين: "السلوك هو دالة الإدراك". أي "أن السلوك وظيفة للإدراك". أو "الإدراك يسبق السلوك ويكون سببا له".

وقلت لصاحبي، لو اختصر لك الفكر الظاهري وكيف يفسر سلوك الناس، أقول لك: "كما تدرك تتصرف". أو "تسلك في البيئة كما تدركها".

وأخيرا، إن الظاهريين لم يوجهوا اهتمامهم إلى المقياس أو الاختبار النفسي، أيا كان شكله الذي يكون عليه، بل وجهوا اهتمامهم إلى الشخص الذي يكون بصدد الإجابة عن بنود المقياس أو الاختبار النفسي.

ويتفق الظاهريون في مفهوم "المجال الظاهري" مع عالم النفس الألماني/ كرت ليفين K. Lewin، في مفهومه: "مجال الحياة Life Space" أو "البيئة النفسية".

"الظاهرة" وإجابات الفرد على بنود المقياس. في مناسبات عديدة سابقة، عندما كنت أجري دراسات ميدانية، بتطبيق مقاييس واستبيانات على عينات البحوث، وبعد أن ينهي الأفراد إجاباتهم على أدوات القياس، كنت أتحدث، أحيانا، مع واحد أو اثنين منهم، أو أكثر، مستفسرا منهم عن سبب اختيارهم للإجابة بـ "نعم"، مثلا، وليس الإجابة بـ "لا"، أو لماذا الإجابة بـ "قليلا"، أو لماذا الإجابة بـ "كثيرا". فكانت إجاباتهم عن استفساراتي أن كل واحد منهم أجاب عن كل بند في المقياس وفق ما يدركه في نفسه كما يثيره مضمون البند، ووفق خبراته بنفسه في تلك اللحظة التي يضع فيها إجاباته على كل بند من بنود المقياس. فعندما أسأل أحدهم: ما الذي جعلك تختار هذه الإجابة؟ يقول: هكذا أشعر الآن، أو هكذا أعرف حالي الآن، أو يقول: لقد خبرت هذه الحالة في نفسي أثناء إجابتي على البند أو عن السؤال. أو يقول: هذه الإجابة تتفق مع حالي كما أشعر بها أثناء إجابتي على البند... وهذا في الحقيقة ما يذهب إليه الظاهريون، بأن الفرد يسلك وفق ما يدرك ويعرف. وكأن الأفراد يستبطنون خبراتهم في هذه الوقت، كما كان يعمل مخصصو فندت Wundt، في عام 1879.

ملاحظة.

إن ما كتبته في هذه الورقة، فيما يتعلق بالفلسفة الظاهرية والقياس النفسي، لم أقرأ عنها قبل ذلك، وفي حدود اطلاعي وقراءاتي، لم يكتب عنها أحد قبل ذلك، لقد ظهرت في تفكيري كفكرة بسيطة صغيرة، ثم أخذت أفكر فيها، فإذا بالمعلومات حولها تتسع وتنوع، سواء مما جمعته حولها من مراجع، رغم قلتها، أو مما قدمته من أمثلة توضيحية، وأرجو أن تكون مقالة مفيدة لمن يقرأها ويعمل بها، وأعني المشتغلين بالقياس النفسي.

وهنا أقول في نفسي: إن تدريس الفلسفة الظاهرية لطلاب علم النفس ربما يكون ضروريا، وتكون أفكار هذه الفلسفة مفيدة جدا لهم، سواء في مجال تأصيل فكرة القياس النفسي، أم في مجال الدراسات الإدراكية Perceptual Studies وعلم النفس المعرفي Cognitive Psychology، وعلم النفس البيئي Environmental psychology.

وفي الختام.

إننا عندما نفوس في موضوعات العلم وإلى أعماقه، ونكتشف بعض ما يوجد في تلك الأعماق من أنوار، ثم نخرج إلى الواقع ونتأمل ما وجدنا في تلك الأعماق من أنوار، وننظر في مدى سطوع تلك الأنوار على الواقع من حولنا، عندئذ نجد أن العلم، وأي علم، جدير باتخاذها، بعد الإيمان بالله، من العقائد الأساسية في الحياة.

والله ولي التوفيق.

المراجع

- بيرني كوروين، بيتر رودل، ستيفين بارمل (2008). العلاج المعرفي. السلوكي المختصر. ترجمة: محمود عيد مصطفى. الطبعة الأولى. القاهرة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيد محمد غنيم (1975). سيكولوجية الشخصية، محدداتها، قياسها، نظرياتها. القاهرة، دار النهضة العربية.
- شارلين هس. بيير، باتريشيا ليفي (2011). البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية. ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة: محمد الجوهري، الطبعة الأولى. القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- صفوت فرج، سهير كامل (1985). مقياس تينيسي لمفهوم الذات. القاهرة، الأنجلو المصرية.
- عبد المنعم الحفني (د. ت.). موسوعة أعلام علم النفس. القاهرة، مكتبة مدبولي.
- محمد شحاتة ربيع (2013). علم نفس الشخصية. الطبعة الأولى. عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- مصطفى فهمي (1967). علم النفس الاكلينيكي. القاهرة، مكتبة مصر.
- BEM B. ALLN (2013). نظريات الشخصية. الارتقاء، النمو، التنوع. ترجمة: علاء الدين كفاقي، مایسة أحمد النیال، سهير محمد سالم. الطبعة الثانية. دار الفكر. ناشرون وموزعون. الأردن. عمان.